

حديث:
حق المعبود وحق العباد
دراسة عقدية

د/ علي بن عبدالرحمن القرعاوي

الأستاذ المشارك بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

جامعة القصيم ــ كلية الشريعة

البريد الإلكتروني :kraaoie@qu.edu.sa

١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م

الملخص :

حديث معاذ بن جبل في بيان الحقوق من الأحاديث المتفق على صحتها وهو من أعظم الأحاديث في بيان حق الله تعالى على عباده.

يتجلى في هذا الحديث منهج النبي عليه الصلاة والسلام في تقرير مسائل العقيدة؛ حيث سلك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أساليب ومواقف تربوية؛ لتعميق العقيدة في نفوس الصحابة رضوان الله عليهم، وكان منهجا مبتكرا؛ مبتدأ بالإرادة الفردية، ومعرفة الأسباب مع توفر الوسائل؛ من الحوار والتجديد في إلقاء الأسئلة، وإثارة انتباه المتعلم من أصحابه.

في الحديث حسن أدب صحابة النبي صلى الله عليه وسلم معه حيث لا يسبقونه بالقول ويصغون إلى تعاليمه باهتمام شديد.

أعظم حق لله تعالى على عباده: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا.

العبادة والعبودية لله اسم جامعٌ لكل ما يحبه الله ويرضاه من العقائد، وأعمال القلوب، وأعمال الجوارح؛ فكل ما يقرب إلى الله من الأفعال، والتروك فهو عبادة.

توحيد العبادة هو: إخلاص الدين لله، وإفراد الله بالعبادة، وصرف جميع أنواع العبادة له سبحانه وتعالى.

للعبادة شروط وهي الإخلاص والمتابعة، ولها أركان هي: الخوف والرجاء والحب.

وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئاً، وهذا الحق أوجبه الله على نفسه تفضلا على عباده، فهو سبحانه كتب على نفسه الرحمة، وحرم الظلم على نفسه، لا أن العبد نفسه مستحق على الله شيئا كما يكون للمخلوق على المخلوق، فإن الله هو المنعم على العباد بكل خير فهو الخالق لهم وهو المرسل إليهم الرسل، وهو الميسر لهم الإيمان والعمل الصالح.

من مات وهو لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة إما ابتداء أو انتهاء لكنه لا يخلد في النار.

الكلمات المفتاحية : المعبود – العابد – اهتمام – اعتماد – التكرار .

Hadith: The right of the idol and the right of the servants a nodal study

Ali bin Abdul Rahman Al-Qarawi

Department of Contemporary Belief and Doctrines, Qassim University – College of Sharia

Email: kraaoie@qu.edu.sa

Abstract :

The hadith of Muadh ibn Jabal regarding the description of rights is one of the hadiths agreed to be authentic, and it is one of the greatest hadiths in explaining the truth of God Almighty over His servants.

This hadith reflects the approach of the Prophet, peace and blessings be upon him, in determining matters of faith. Where our Prophet Muhammad, may God bless him and grant him peace, followed educational methods and positions; To deepen belief in the hearts of the Companions, may God be pleased with them, and it was an innovative approach; Beginning with the individual will, knowing the causes and providing the means; From dialogue and innovation to questioning, and to arouse the learner's attention from his companions.

In the hadith, the good manners of the companions of the Prophet, may God's prayers and peace be upon him, were with him

They do not precede him by saying and listen to his teachings with great interest.

The greatest right of God Almighty over His servants: to worship Him and not associate anything with Him.

Worship and servitude to God is a name that collects all that God loves and is satisfied with from beliefs, actions of hearts, and deeds of prey. So all that is close to God from actions, and neglect is worship. That is why the neglector of disobedience to God was a devoted worshiper close to his Lord by that

Monotheism of worship is: devotion of religion to God, singling out God to worship, and dispensing all kinds of worship to Him Almighty, so it is not permissible for him to join him in his worship, neither a close king nor a messenger prophet, and anything below them is a more appropriate matter.

Worship has conditions, which are sincerity and follow-up, and it has pillars: fear, hope, and love.

And the right of the servants over God not to torment the one who does not associate with him anything, and this right that God has enjoined upon himself in preference to his servants, for he, the Glory be to Him, wrote mercy on himself, and forbade injustice against himself, not that the servant himself deserves something from God as it is for a creature over a creature, for God He is the one who bestows the servants with all good, for he is their creator, he is the messengers to whom he is sent, and he is the facilitator for them in faith and good deeds.

Whoever dies without associating anything with God will enter Heaven, either beginning or ending, but he will not abide in Hell.

.**Key words**: idol – worshiper – interest – dependence – repetition

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وبعد:

فإن أهم الحقوق وأعظمها؛ حق الله سبحانه وتعالى الذي أوجبه الله على عباده، ومن رحمة الله سبحانه وتعالى أن نص على هذا الحق في كتابه وبيّنه رسوله صلى الله عليه وسلم لأمته.

وإن من أهم الأحاديث التي بينت هذا الحق؛ حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، الذي اتفق أهل العلم على صحته؛ فينبغي للمسلم أن يقف عند هذا الحديث متدبراً ومتأملاً لما يحويه من مسائل عظيمة وفوائد نفيسة، كيف لا وهو يبحث في مهمة الإنسان في هذه الحياة، ويقرر أصلاً في غاية الأهمية والمكانة ألا وهو توحيد الله سبحانه الله وحده لا شريك له؛ وإنّ خدش هذا الأصل قد يغير مسار حياة الفرد في الدنيا والآخرة؛ لذلك رغبت أن أسلط الضوء على هذا الحديث في هذا البحث وجعلته بعنوان **(حديث حق المعبود وحق العباد دراسة عقدية)** سائلا الله سبحانه وتعالى التوفيق والسداد.

●أهمية الموضوع:

تظهر أهمية هذا الموضوع من جهة كونه يتعلق بأعظم الحقوق وأهمها وهو حق الله تعالى.

●أهداف البحث:

من أهم الأهداف التي يسعى البحث إلى تحقيقها: استخراج المسائل العقدية، وتجليتها في هذا الحديث.

●منهج البحث:

يقوم البحث على المنهجين؛ الاستقرائي والتحليلي؛ فمن خلال المنهج الاستقرائي حاولت قدر الإمكان جمع كلام أهل العلم في شرح هذا الحديث ومن خلال المنهج التحليلي حاولت بيان مدلولات هذا الحديث على مسائل العقيدة.

●الدراسات السابقة:

بعد البحث والتحري . قدر الطاقة والوسع . لم أجد بحثًا تناول موضوع هذه الدراسة بالتحديد، ولكن توجد شروحات كثيرة لهذا الحديث على وجه العموم.

خطة البحث:

قد جعلت هذا البحث في مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة.

المقدمة: وتشمل ما يلي:

١- أهمية الموضوع.٢- أهداف البحث ٣- منهج البحث

٤- الدراسات السابقة.

٥- خطة البحث.

التمهيد وفيه:

أولا: نص الحديث وتخريجه.

ثانيا: لمحة عن المنهج النبوي في تقرير العقيدة:

١-لفت الاهتمام بطريقة السؤال.

٢-اعتماد الحوار مع المتلقي.

٣-التكرار وتنويع الأساليب.

ثالثا: أدب متعلم العلم الشرعي:

١-حسن الجواب (لبيك وسعديك).

٢-رد العلم إلى أهله (الله ورسوله أعلم).

٣-الحرص على تبليغ العلم (ألا أبشر الناس).

المبحث الأول: مسائل حق المعبود، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم توحيد العبادة

المطلب الثاني: أركان العبادة وشروطها.

المطلب الثالث: تضمن توحيد الألوهية لتوحيد الربوبية

المبحث الثاني: حق العباد، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الحق على الله تعالى

المطلب الثاني: معنى نفي العذاب عن الموحدين

الخاتمة: وفيها، أهم نتائج البحث.

التمهيد:

أولا: نص الحديث وتخريجه.

هذا الحديث من الأحاديث المتفق على صحته؛ فقد أخرجه البخاري ومسلم، والترمذي والنسائي في الكبرى وأحمد واللفظ للبخاري عن عمرو بن ميمون، عن معاذ رضي الله عنه، قال: كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار يقال له عفير، فقال: «يا معاذ، هل تدري حق الله على عباده، وما حق العباد على الله؟، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئا»، فقلت: يا رسول الله أفلا أبشر به الناس؟ قال: «لا تبشرهم، فيتكلوا)[١].

وفي رواية أخرى للبخاري؛ عن أنس، عن معاذ قال: كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «يا معاذ» قلت: لبيك وسعديك، ثم قال مثله ثلاثا: (هل تدري ما حق الله على العباد» قلت: لا، قال: «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، ثم سار ساعة، فقال: «يا معاذ» قلت: لبيك وسعديك، قال: " هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك: ألا يعذبهم)[٢].

ثانيا: لمحة عن المنهج النبوي في تقرير العقيدة:

المتأمل في أساليب النبي محمد صلى الله عليه وسلم في دعوته؛ يجد فيها القدوة والأسوة في كل المجالات، فنبينا محمد صلى الله عليه وسلم أفضل المعلمين على الإطلاق، يضاف لذلك سعة صدره وحلمه ولينه، فقد جمع بين

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد والسير، باب اسم الفرس والحمار برقم ٢٨٥٦، ومسلم في كتاب الأيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة برقم ٣٠، والترمذي في أبواب الإيمان، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله، برقم ٢٦٤٣، والنسائي في السنن الكبرى، في كتاب العلم، باب الاختصاص بالعلم قوما دون قوم برقم ٥٨٤٦ واحمد في مسنده (٣٦/ ٣١٧) برقم ٢١٩٩١.

(٢) / اخرجه البخاري في صحيحه؛ في كتاب الاستئذان، باب من أجاب بلبيك وسعديك برقم ٦٢٦٧.

إقناع العقل، وتأثير العاطفة؛ وذلك للفت الانتباه، فقد كان له أساليب ومواقف تربوية؛ لتعميق العقيدة في نفوس الصحابة رضوان الله عليهم، وحيث سلك منهجًا مبتكرًا؛ مبتدأ بالإرادة الفردية، ومعرفة الأسباب مع توفر الوسائل؛ من الحوار والتجديد في إلقاء الأسئلة، وإثارة انتباه المتعلم ومن هذه الأساليب:

١-لفت الاهتمام بطريقة السؤال.

لقد استخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوته للعقيدة والشريعة والأخلاق وغيرها أسلوب التشويق في طرح السؤال، فتارة يفصل بين سؤال وسؤال، وتارة بين سؤال وجواب لاستحضار الفهوم، وترك المجال للتفكير العقلي، وها هو صلى الله عليه وسلم يطرح على معاذ رضي الله عنه سؤالا بصيغة الاستفهام يكرره ثلاثا، وكأنه يستفهم منه وينتظر الجواب، وهو ليس كذلك؛ فرسول الله عنده الجواب الكافي، ومعاذ يعلم ذلك، ولذا قال الله ورسوله أعلم؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم يريد استثارة معاذ وتركيز انتباهه وتشويقه لمعرفة الجواب، وهذا أدى أن يرتكز الجواب في ذهنه، وهذا لمعاذ ولمن سمع هذا الحديث ممن جاء بعده، وفي هذا بث الشوق عند معاذ لمعرفة الإجابة، وقد يكون لغرض استخراج ما عند معاذ من علم فإن كان صحيحا أقرّه النبي عليه الصلاة والسلام وإن كان خاطئا صححه، وهذا أسلوب قد استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرًا.

ومن صريح الأمثلة على ذلك ما أخرجه البخاري من حديث أبي بكرة – رضي الله عنه – قال: قَعَدَ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – عَلَى بَعِيرِهِ وَأَمْسَكَ إِنْسَانٌ بِخِطَامِهِ –أَوْ: بِزِمَامِهِ– قَالَ: «أَيُّ يَوْمٍ هَذَا»؟ فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ سِوَى اسْمِهِ. قَالَ: «أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ»؟ قُلْنَا بَلَى. قَالَ: «فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا»؟ فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ. فَقَالَ: «أَلَيْسَ بِذِي الْحِجَّةِ»؟ قُلْنَا: «بَلَى». قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ

هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ» (١).

قال القرطبي رحمه الله: سؤاله صلى الله عليه وسلم عن الثلاثة وسكوته بعد كل سؤال منها كان لاستحضار فهومهم، وليقبلوا عليه بكليتهم، وليستشعروا عظمة ما يخبرهم عنه وعلى الحاضر أن يبلغ الغائب)(٢).

وكذا حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: "أَخْبِرُونِي بِشَجَرَةٍ تُشْبِهُ أَوْ: كَالرَّجُلِ المُسْلِمِ لاَ يَتَحَاتُّ وَرَقُهَا، وَلاَ وَلاَ وَلاَ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ "قَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، وَرَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ لاَ يَتَكَلَّمَانِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ فَلَمَّا لَمْ يَقُولُوا شَيْئًا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هِيَ النَّخْلَةُ» فَلَمَّا قُمْنَا قُلْتُ لِعُمَرَ: يَا أَبَتَاهُ، وَاللَّهِ لَقَدْ كَانَ وَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَكَلَّمَ؟ قَالَ: لَمْ أَرَكُمْ تَكَلَّمُونَ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ أَوْ أَقُولَ شَيْئًا، قَالَ عُمَرُ: لَأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا"(٣).

وحديث أبي بن كعب، في تحديد أعظم آية في كتاب الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت: {الله لا إله إلا هو الحي القيوم} البقرة: ٢٥٥. قال: فضرب في صدري، وقال: والله ليهنك العلم أبا المنذر"(٤).

(١) أخرجه البخاري؛ كتاب العلم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «رب مبلغ أوعى من سامع، برقم ٦٧.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ١/١٥٩.

(٣) أخرجه البخاري؛ في كتاب العلم، باب قوله: (كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين)، برقم ٤٦٩٨.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب فضل سورة الكهف، وآية الكرسي، برقم ٢٥٨.

وحديث أبي هريرة، في تفسير معنى (المفلس) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة، وصيام، وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار"(١).

وغير هذا كثير من الأسئلة التي طرحها رسول الله على أصحابه لتعليمهم دينهم بأسلوب توجيه الأسئلة وانتظار إجابتها، لترتكز في الأفهام وتدركها العقول.

٢- اعتماد الحوار مع المتلقي.

لقد استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلوب الحوار مع المتلقي في كثير من المواقف، وكان هذا أسلوباً من أساليب الدعوة إلى الله، فطريقة الحوار تختصر المسافة بين المعلم والمتعلم وتؤدي إلى الإقناع، وكان هذا من أبرز أساليبه- صلى الله عليه وسلم- في التعليم لإثارة انتباه السامعين وتشويق نفوسهم إلى الجواب، وحضهم على إعمال الفكر للجواب، حتى يكون جواب النبي -إذا لم يستطيعوا الجواب- أقرب إلى الفهم وأوقع في النفس، وهذا واضح تمام الوضوح في حوار النبي محمد صلى الله عليه وسلم مع معاذ؛ فإنه أولاً ناداه بقوله يا معاذ، فلما أجابه معاذ، طرح عليه السؤال بقوله: أتدري ماحق الله على العباد؟ فلما أرجح معاذ العلم لله ورسوله، أجابه الرسول عليه الصلاة والسلام عن حق الله على العباد؟ ثم تركه الرسول صلى الله عليه وسلم ساعة، ثم ناداه، فقال له معاذ: لبيك وسعديك فسأله سؤالا آخر عن حق العباد على الله وحين طلب منه معاذ تبشير الناس قال لا تبشرهم، فيتكلوا.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم برقم ٥٩.

ومن النماذج الشيقة في الحوار ما أخرجه الطبراني في المعجم الكبير عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُسْلِمُ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ» . قَالُوا: فَمَنِ الْمُؤْمِنُ؟ قَالَ: «مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ» . قَالُوا: فَمَنِ الْمُهَاجِرُ؟ قَالَ: «مَنْ هَجَرَ السَّوْءَ فَاجْتَنَبَهُ» (١).

ومن النماذج الشيقة في الحوار كذلك ما أخرجه مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: نُهينا أن نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء، فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل، فيسأله، ونحن نسمع، فجاء رجل من أهل البادية، فقال: يا محمد، أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك، قال: «صدق»، قال: فمن خلق السماء؟ قال: «الله»، قال: فمن خلق الأرض؟ قال: «الله»، قال: فمن نصب هذه الجبال، وجعل فيها ما جعل؟ قال: «الله»، قال: فبالذي خلق السماء، وخلق الأرض، ونصب هذه الجبال، آلله أرسلك؟ قال: «نعم»، قال: وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا، وليلتنا، قال: «صدق»، قال: فبالذي أرسلك، آلله أمرك بهذا؟ قال: «نعم»، قال: وزعم رسولك أن علينا زكاة في أموالنا، قال: «صدق»، قال: فبالذي أرسلك، آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قال: وزعم رسولك أن علينا صوم شهر رمضان في سنتنا، قال: صدق، قال: فبالذي أرسلك، آلله أمرك بهذا؟ قال: «نعم»، قال: وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلا، قال: «صدق»، قال: ثم ولى، قال: والذي بعثك بالحق، لا أزيد عليهن، ولا أنقص منهن، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لئن صدق ليدخلن الجنة)(٢).

فالأعرابي جاء مستوثقا مما قاله مبعوث الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد كان الرسول يبعث إلى كل قبيلة أو قرية أو مدينة من يعلمها أمور دينها،

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير برقم: ١٤٦١٠، قال الألباني وسنده صحيح على شرط مسلم.
(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب في بيان الإيمان بالله وشرائع الدين، برقم ١٢.

فهذه أسئلة دالة على علمه المسبق بحقائق الإسلام وأركانه، لذا تكررت عبارة " زَعَمَ رَسُولُكَ."

"كما وردت أسئلته عليه الصلاة والسلام بصيغة استفهامية، دون ذكر أداة استفهام، ولكن الخطاب بصيغة السؤال، وهي صيغة تعني الأداة (هل أو الهمزة)، وقد حذفت لأنها معلومة للسامع. والرسول لم يجب – على أغلب الأسئلة – بلفظة " نعم "، وإنما بالفعل الماضي " صدق "، وهو يشمل الإيجاب، والتصديق، والتأكيد، بينما جاءت إجابته بنعم على سؤالين فقط.

وهذا الحوار يتضمن المعلوم من الإسلام بالضرورة، وهي حقائق العقيدة، وأن الكون له خالق عظيم، واحد أحد، ثم ذكر أركان الإسلام: الصلاة، الصوم، الزكاة، الحج. وهذا دليل على أن الرسول كان يعرض العقيدة والعبادة في آن واحد، ومن التزم بهذه الأركان، وصحّت عقيدته، فهو سينال الفلاح في الدنيا بسعادة النفس وهنائها، وفي الآخرة برضوان الله تعالى، وجناته.

وقد صدق الرسول على تعقيب الأعرابي، بأن لا يزيد ولا ينقص، في إشارة إلى الالتزام، وقد جاء لفظ الرسول " إن صدق "، إيضاحا بأن مفهوم الصدق يشمل الالتزام بالنية والقول والفعل)[١].

٣- التكرار وتنويع الأساليب.

من الأساليب التي استعملها رسول الله . صلى الله عليه وسلم . في عدد كثير من الأحاديث (التكرار)، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث يكرر نداء معاذ فيقول : يا معاذ، ويتمهل في هذا التكرار مع تأخير الجواب، لتأكيد الانتباه والاهتمام بما سيخبره وليبالغ في تفهمه وضبطه عنه، فهو صلى الله عليه وسلم لا يسرع في كلامه ، يلفظ الكلمة فيتوقف عندها، ويكرر التعبير فقرة فقرة، وكلمة كلمة وجملة جملة، يستعمل المبسوط في موضع البسط، والإيجاز في موضع الإيجاز، وبهذا التكرار المفيد يستوعب

(١) ينظر: نماذج من حوار الرسول صلى الله عليه وسلم موقع شبكة الألوكة.

الصحابة الحديث فيحفظونه، وتثبت ألفاظه ومعانيه في العقول، وتتغرس الأفكار وظلالها، والألفاظ وإيحاءاتها في النفوس.

ومن نظائر هذا ما أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: رغم أنفه، ثم رغم أنفه، ثم رغم أنفه، قيل: من؟ يا رسول الله قال: من أدرك والديه عند الكبر، أحدهما أو كليهما، ثم لم يدخل الجنة)[١].

ففي هذا الحديث كرر النبي صلى الله عليه وسلم جملة رغم أنفه ثلاث مرات ليركز الانتباه إلى حق عظيم يجب أن ينتبه له المسلم ولا ينساه؛ إنه حق الوالدين، وما أعظمه من حق، فإذا قرأ الإنسان هذا الحديث في أي زمن؛ فإنه يحس بهذا الأسلوب المبدع من رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم البعد الزمني والمكاني وهذا يوحي بالتهديد والوعيد لمن عق والديه؟

والفكرة نفسها نجدها في قالب آخر من التكرار فيما رواه عبد الله بن عمر . رضي الله عنهما: يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، قال: وحسبت أن قد قال: والرجل راع في مال أبيه ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته)[٢].

وهذا التكرار من رسول الله صلى الله عليه وسلم مقصود للفت الانتباه والتركيز لما يقوله وكان يكفي من هذا أن يقول: الإمام والرجل والمرأة والخادم راعون ومسؤولون عن رعيتهم لكنه كرر ذلك لأهمية المسؤوليات ولفت الانتباه إلى هذه الواجبات والتحذير من التفريط فيها.

---

(١) اخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب رغم أنف من أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر، فلم يدخل الجنة، برقم ٢٥٥١.

(٢) / أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب: المرأة راعية في بيت زوجها، برقم٥٢٠٠.

ثانيا: أدب متعلم التوحيد:

لمتعلم التوحيد وغيره من أبواب العلم آداب عظيمة وصفات حميدة منها:

١- حسن الجواب (لبيك وسعديك).

هاتان الكلمتان من الكلمات التي يجيب بها الإنسان بجواب حسن عندما ينادى ويدعى، وهذا الجواب من الأدب في القول عند النداء، وهو ما فعله معاذ حين ناداه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد أجابه بإجابة حسنة تأدبا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم،

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: قوله: قال: لبيك يا رسول الله وسعديك؛ اللب بفتح اللام معناه هنا الإجابة، والسعد المساعدة؛ كأنه قال: لبا لك وإسعادا لك، ولكنهما ثنيا على معنى التأكيد والتكثير أي إجابة بعد إجابة وإسعادا بعد إسعاد)[١]. وقال النووي رحمه الله: والأظهر أن معناها إجابة لك بعد إجابة للتأكيد)[٢].

وقال ابن هشام: (وسعديك) بمعنى إسعاداً لك بعد إسعاد، ولبيك بمعنى إقامة على إجابتك بعد إقامة، ولا تستعمل إلا بعد لبيك)[٣]. ومثل هذا الأدب في الجواب هو اللائق بصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غالب أجوبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن الأمثلة على ذلك حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرة المدينة عشاء، استقبلنا أحد، فقال: يا أبا ذر، ما أحب أن أحدا لي ذهبا، يأتي علي ليلة أو ثلاث، عندي منه دينار إلا أرصده لدين، إلا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا وهكذا، وأرانا بيده، ثم

---

(١) / فتح الباري لابن حجر (١/ ٢٢٦).

(٢) / شرح النووي على مسلم (١/ ٢٣١).

(٣) / أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (٣/ ١٠١).

قال: يا أبا ذر، قلت: لبيك وسعديك يا رسول الله، قال: الأكثرون هم الأقلون، إلا من قال هكذا وهكذا)(١).

٢- رد العلم إلى أهله (الله ورسوله أعلم).

وهذا من الإيمان الراسخ عند معاذ بن جبل رضى الله عنه؛ فهو لا يقدم بين يدي الله ورسوله ولا يقول إلا ما قاله الله ورسوله، فهو لا يعلم الغيب الذي استأثر الله بعلمه، وليس بمشرّع؛ لأنه يعلم أن التشريع لله ثم لرسوله صلى الله عليه وسلم؛ ولذا رد على رسول الله بقوله: الله ورسوله أعلم، فهذا من أدب الصحابة – رضي الله عنهم –، وحسن أدبهم في التعلم.

قال الشيخ بكر أبو زيد(٢): (الأصل أن يقال: الله سبحانه وتعالى أعلم؛ لأن النبي –صلى الله عليه وسلم – لا يعلم إلا ما يعلمه الله به، وجملة الكلام في هذا الإطلاق في مقامين:

الأول : قول ذلك في حياة النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث معاذِ رضي الله عنه المشهور، وفيه: فقال صلى الله عليه وسلم: يا معاذ: أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟ فقلت: الله ورسوله أعلم ... الحديث، فهذا من أدب الصحابة رضي الله عنهم، وحسن أدبهم في التعلم .

الثاني : قولها بعد وفاة النبي – عليه الصلاة والسلام – وقد جرى إطلاقها عند بعض أهل العلم . منهم ابن القيم رحمه الله تعالى قال في نونيته:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان، باب من أجاب بلبيك وسعديك، برقم ٦٢٦٨.

(٢) الشيخ بكر بن عبد الله بن محمد بن أبوزيد أحد كبار علماء الدين المعاصرين في المملكة العربية السعودية، تولى عضوية المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي، وعضوية مجلس القضاء السعودي، وعضوية هيئة كبار العلماء السعودية واللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، ولد عام ١٣٦٥هـ في مدينة الدوادمي، وتوفى سنة ١٤٢٩هـ، له العديد من المؤلفات منها: المدخل المفصل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، في مجلدين، وفقه النوازل: في ثلاثة مجلدات، والتأصيل لأصول التخريج وقواعد الجرح والتعديل، ثلاثة مجلدات، وغيرها الكثير. انظر ترجمته في: موقع الإفتاء التابع للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية http://www.alifta.com.

والله أعلم بالمراد بقوله ورسوله المبعوث بالفرقان[1]

لكن لم يحصل الوقوف على إطلاق الصحابة – رضي الله عنهم – لها بعد وفاته – عليه الصلاة والسلام – بل الظاهر خلافه ... فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال عمر ابن الخطاب يوماً لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: فيمن ترون هذه الآية نزلت؟ قالوا: الله أعلم. فغضب عمر فقال: قولوا: نعلم أو لا نعلم ...)[2]، ومن الجائز حمل كلام ابن القيم – رحمه الله تعالى – على إطلاق ذلك في مواطن التشريع ، وأما ما سوى ذلك من المغيبات ، ومن أمور الدنيا ، فلا، إلا ما أطلع الله رسوله عليه. قال تعالى :(تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَاصْبِرْ ۖ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ) سورة هود:٤٩)[3].

وقال الشيخ محمد العثيمين في قول: الله ورسوله أعلم: كيف نجمع بين قول الصحابة: الله ورسوله أعلم، بالعطف بالواو وإقرارهم على ذلك، وإنكاره صلى الله عليه وسلم على من قال: ما شاء الله وشئت؟ الإجابة: قوله: الله ورسوله أعلم جائز؛ وذلك لأن علم الرسول من علم الله، فالله تعالى هو الذي يعلمه مالا يدركه البشر، ولهذا أتى بالواو. وكذلك في المسائل الشرعية يقال: الله ورسوله أعلم؛ لأنه صلى الله عليه وسلم أعلم الخلق بشريعة الله، وعلمه بها من علم الله الذي علمه، كما قال الله تعالى: { وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا}. وليس هذا كقوله: (ما شاء الله وشئت) لأن هذا في باب القدرة والمشيئة، ولا يمكن أن يجعل الرسول صلى الله عليه وسلم مشاركاً لله فيها. ففي الأمور الشرعية يقال: (الله ورسوله أعلم) وفي الأمور الكونية لا يقال ذلك.

---

(١) نونية ابن القيم ص٧٧.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الشهادات، باب قوله: {أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب} برقم ٤٥٣٨.

(٣) معجم المناهي اللفظية ص ١٢٨.

ومن هنا نعرف خطأ وجهل من يكتب الآن على بعض الأعمال: { وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ }؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرى العمل بعد موته)[١].

والذي يظهر والله أعلم أنه يجوز أن يقال: الله ورسوله أعلم في الأمور الشرعية مطلقا في حياته وبعد مماته، لا في الأمور الكونية؛ وذلك لأن الأحكام الشرعية ثابتة من قبل أن يموت الرسول عليه الصلاة والسلام، وهي معلومة له بتعليم الله إياه.

٣- الحرص على تبليغ العلم (ألا أبشر الناس).

هذا إيمان من معاذ رضي الله عنه بوجوب التبليغ عن الله ورسوله؛ عملا بقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ) المائدة: ٦٧. وقول النبي صلى الله عليه وسلم (إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يُوَرِّثُوا ديناراً ولا درهما، وإنما ورَّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍ وافر)[٢].

فالآية تدل على وجوب البلاغ على النبي صلى الله عليه وسلم، والحديث يدلّ على أن العلماء ورثة علم النبي صلى الله عليه وسلم. فيجب عليهم من البلاغ ما وجب عليه، ولقوله صلى الله عليه وسلم (ليبلِّغ الشاهد الغائب)[٣]. والعلماء شهود علم النبي صلى الله عليه وسلم في كل عصر فوجب عليهم البلاغ.

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد صالح العثيمين جمع وترتيب: فهد بن ناصر السليمان ٧٦/٣.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، والترمذي في سننه، والحديث طرقه كثيرة لا يسلم منها طريق عن الضعف، لكنه يقبل بمجموعها وقد صححه الحاكم وابن حبان والعراقي وغيرهما وحسنه حمزة الكتاني وإن كان قد ضعفه الدارقطني لاضطراب أسانيده لكن له طرق وشواهد كثيرة ولذا قال الحافظ ابن حجر: له طرق يعرف بها أن للحديث أصل وقد ذكره البخاري في صحيحه بدون إسناد فقال: باب الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ. لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ) فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ، وَأَنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ – وَرَّثُوا الْعِلْمَ – مَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب العلم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: رب مبلغ أوعى =

وهو يدرك قول الله تعالى (قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً) الأنعام: ١٥١ – ١٥٣. قال القرطبي رحمه الله: هذه الآية أمر من الله تعالى لنبيّه عليه السلام بأن يدعو جميع الخلق إلى سماع تلاوة ما حرّم الله. وهكذا يجب على من بعده من العلماء أن يبلّغوا الناس ويبيّنوا لهم ما حرّم الله عليهم مما حَلّ)[(١)].

ومعاذ يدرك قول الله عز وجل (وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ) آل عمران: ١٨٧.

ويعلم أن الآية تدل على وجوب تبليغ العلماء للعلم وبيانه وإظهاره، بالميثاق الذي أخذه الله على أهل العلم وأكّده بتوكيدين باللام والنون (لَتُبَيِّنُنَّهُ). قال القرطبي رحمه الله قوله تعالى (وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ)، وهذا متصل بذكر اليهود، فإنهم أُمِروا بالإيمان بمحمد عليه السلام وبيان أمره، فكتموا نعته، فالآية توبيخ لهم، ثم مع ذلك هو خبر عام لهم ولغيرهم. قال الحسن وقتادة: هي في كل مَن أوتى عِلم شيء من الكتاب، فمن علم شيئا فليُعلِّمه وإياكم وكتمان العلم فإنه هلكة. وقال محمد بن كعب: لا يحلّ لعالم أن يسكت على علمه ولا للجاهل أن يسكت على جهله)[(٢)].

وأما التوفيق بين هذه النصوص الآمرة بالتبليغ وقوله عليه الصلاة والسلام لمعاذ في هذا الحديث (لا تبشرهم فيتكلوا) فمن وجوه:

أولا: أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكتم هذا الأمر، بدليل أنه أخبر به معاذ بن جبل رضي الله عنه، غاية الأمر أنه منع نشره عند بعض الناس خوفا على من لم يدرك مرامي الحديث، والجمع بين أطراف الأدلة، من أن

=

من سامع، برقم ٦٧.

(١) تفسير القرطبي (٧/ ١٣١).

(٢) المرجع نفسه (٤/ ٣٠٤)

يتكل على ما سمع وأدركه من هذا الحديث، فيدع بعض العمل، أو يفرط فيما أمر به؛ وهذه مفسدة ظاهرة، في حين أن فوات سماع هذا الحديث: لا يضيع شيئا من العمل، ولا يخشى منه مفسدة بينة، ولا شك أن فوات البشرى في حق هؤلاء، واستمرارهم على الأخذ بالوثيقة والجد في العمل، هو آمن لهم وأرجى من المفسدة المذكورة.

قال الملا القارئ: (واحتج البخاري على أن للعالم أن يخص بالعلم قوما دون قوم، كراهة ألا يفهموا، وقد يتخذ أمثال هذه الأحاديث البطلة والمباحية ذريعة إلى ترك التكاليف ورفع الأحكام، وذلك يُفضي إلى خراب الدنيا بعد خراب العقبى)[(١)].

ثانيا : أن يقال: إن أمره صلى الله عليه وسلم بالكتمان ليس المقصود به الكتمان المطلق المؤبد ، بل هو كتمان في زمان معين، ولم يستمر هذا الكتمان، بدليل أن معاذا قد أخبر بهذا الحديث قبل موته , فقد جاء في نهاية هذا الحديث: (وأخبر بها معاذ عند موته تأثما) ؛ أي تجنباً وتحرزاً عن الوقوع في إثم كتمان العلم)[(٢)] ، وهذا ظاهر في أن معاذا رضي الله عنه لم يفهم المنع المطلق عن نشر هذا الحديث وتبليغه ، إنما فهم أن ذلك المنع مقيد بحال ، أو شخص ، أو وقت ، أو قيد ما ، ورأى أن هذا القيد قد فات ، وأن التشريع قد استقر، واستمر شأن الناس عليه ، ولم يَخش عليهم تلك المفسدة .

ثالثا: يحتمل أن النهي عن التبشير بذلك لم يكن لكل الناس بل كان خاصا بمن يخشى منه الاتكال وترك العمل، وعليه فيكون معاذ – رضي الله عنه – قد أخبر بالحديث قبل موته وخص بذلك من لا يخشى منهم الاتكال كما خصه رسول الله بذلك؛ وعليه فلا تعارض بين الآية الكريمة والحديث الشريف.

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح " (١ / ٩٨).

(٢) المرجع نفسه (١ / ٩٣) .

قال ابن حجر: قال ابن رجب في شرحه لأوائل البخاري: قال العلماء يؤخذ من منع معاذ من تبشير الناس لئلا يتكلوا أن أحاديث الرخص لا تشاع في عموم الناس لئلا يقصر فهمهم عن المراد بها، وقد سمعها معاذ فلم يزدد إلا اجتهادا في العمل وخشية الله عز وجل، فأما من لم يبلغ منزلته فلا يؤمن أن يقصر اتكالا على ظاهر هذا الخبر، وقد عارضه ما تواتر من نصوص الكتاب والسنة أن بعض عصاة الموحدين يدخلون النار، فعلى هذا يجب الجمع بين الأمرين)[١].

(١) / انظر: فتح الباري ٣٣٨/١١.

المبحث الأول

مسائل حق المعبود، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم توحيد العبادة:

للمعبود سبحانه وتعالى حق عظيم على عباده بيّنه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (فإن حق الله على العباد؛ أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا)؛ وهذا النص عظيم القدر، كبير المعنى، مليء بالفوائد والحكم، حيث اشتمل على ثلاث مهمات:

الأولى: قوله: (حق الله على العباد): والمقصود بذلك ما يستحقه عليهم ويجعله متحتماً، فهي هنا بمعنى الواجب، فكأنه قال: ما يجب على العباد لله – سبحانه وتعالى –.

وكلمة (الحق) تأتي لمعان كثيرة؛ منها الجزاء، والصدق، وتطلق على الله – سبحانه وتعالى – إلى غير ذلك من المعاني.

الثانية: قوله – صلى الله عليه وسلم – (أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً...). والمعنى: أن يوحدوه بالعبادة وحده ولا يشركوا به شيئاً، وفائدة هذه الجملة بيان أن التجرد من الشرك لا بد منه في العبادة.

والعبادة المأمور بها هي كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله–: (طاعة الله امتثال ما أمر به على ألسنة الرسل)، أو كما قال أيضاً – رحمه الله –: (هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة)[١]. وقال رحمه الله: (لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب، فهي تتضمن غاية الذل لله – تعالى –بغاية المحبة له)[٢]. فهي بهذا المعنى تشمل جميع شؤون الحياة، ما يقوله الإنسان وما يعمله إذا كان لله سبحانه وتعالى، فتشمل الشعائر التعبدية كالصلاة والصيام والزكاة والحج والذكر

(١) العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص٤٤.

(٢) المرجع نفسه ص٤٨.

والدعاء والاستغفار والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها، كما تشمل شؤون الحياة الأخرى المباحة كالأكل والشرب والمعاملات والنكاح وغير ذلك.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: (فالصلاة والزكاة والصيام والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء، والذكر، والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة، وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله والإنابة إليه وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضا بقضائه والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، وأمثال ذلك من العبادة لله)[١]. اهـ.

من هذا نعلم أن كل ما يعمله الإنسان في هذه الحياة من الأعمال المباحة المشروعة إذا كان القصد فيها صالحاً فهو عبادة، حتى ما يقضيه الإنسان في شهوته ولذاته ومعاشه اليومي، وأوضح دليل على ذلك ما رواه الإمام مسلم وغيره أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا: أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ قالوا نعم، قال: كذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر)[٢]. وهذا من تمام رحمة الله بعباده، يثيبهم على ما فيه قضاء شهواتهم إذا نووا أداء حق الزوجة وإحصان الفرج.

هذه العبادة بهذا المعنى الشامل الواسع هي التي أمر الله بها رسله، وأوجبها على خلقه في آيات كثيرة، منها قوله – تعالى –: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}. فأخبر – تعالى –أنه بعث في كل طائفة من الناس رسولا يبلغهم هذه الكلمة التي هي عبادة الله وحده وترك ما

(١) العبودية لشيخ الإسلام ص٤٤ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب كل معروف صدقة برقم٢٢٩٢.

سواه. وهذه العبادة إذا قام بها العبد بمعناها الشامل وجد سعادة لا تضاهيها سعادة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: (وهكذا كلما أخلص المرء العبودية لله وجد نفسه، واهتدى إلى سر وجوده، ووجد مع ذلك سعادة روحية لا تدانيها سعادة، تتمثل فيما سماه الرسول – صلى الله عليه وسلم –: حلاوة الإيمان). ويقول ابن القيم – رحمه الله تعالى –: (فإنه لا شيء أحب إلى القلوب من خالقها وفاطرها، فهو إلهها ومعبودها، ووليها ومولاها، وربها ومدبرها، ورازقها ومميتها ومحييها، فمحبته نعيم النفوس، وحياة الأرواح، وسرور النفوس، وقوت القلوب، ونور العقول، وقرة العيون، وعمارة الباطن، فليس عند القلوب السليمة والأرواح الطيبة، والعقول الزاكية أحلى ولا ألذّ ولا أطيب ولا أسر ولا أنعم من محبته والأنس به والشوق إلى لقائه، والحلاوة التي يجدها المؤمن في قلبه بذلك فوق كل حلاوة، والنعيم الذي يحصل له بذلك أتم من كل نعيم، واللذة التي تناله أعلى من كل لذة، حتى قال قائلهم: إنه ليمر بالقلب أوقات أقول فيها: إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب) [(١)].

الثالثة: مفهوم العبادة:

تعريف العبادة في اللغة والاصطلاح:

العبادة لغة: قال ابن فارس: العين والباء والدال أصلان صحيحان. كأنهما متضادان، والأول من ذينك الأصلين يدل على لين وذل. والآخر على شدة وغلظ. فالأول: العبد المملوك.. والمعبد: الذلول.. والطريق المعبد المسلوك المذلل، والأصل الآخر: العبدة وهي القوة والصلاة يقال: هذا ثواب له عبدة، إذا كان صفيقاً قوياً)[(٢)]، وقال ابن منظور: والمعبَّد: المذلل والتعبد: التذلل.. وبعير معبد: مذلل. وطريق معبد: مسلوك مذلل)[(٣)].

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ج٢ص١٩٧.

(٢) معجم مقاييس اللغة ٤/ ٢٠٥، ٢٠٦ باختصار.

(٣) لسان العرب، مادة عبد ٣/ ٢٧٤.

العبادة اصطلاحاً شرعاً: عرفت العبادة في الاصطلاح بعدة تعريفات، ومنها ما يلي:

ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: (العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة)[1].

وعرفها ابن القيم بأنها: كمال المحبة مع كمال الذل، وعرفها أيضا بقوله: والعبادة تجمع أصلين: غاية الحب بغاية الذل والخضوع، والعرب تقول: طريق معبد أي مذلل، والتعبد: التذلل والخضوع، فمن أحببته ولم تكن خاضعا له، لم تكن عابدا له، ومن خضعت له بلا محبة لم تكن عابدا له حتى تكون محبا خاضعا) [2]

وقال في النونية:

وعبادة الرحمن غاية حبه ** مع ذل عابده هما قطبان[3]**

وعرفها الشيخ عبدالرحمن السعدي بقوله: العبادة روحُها وحقيقتُها تحقيقُ الحبِّ والخضوع لله؛ فالحب التام والخضوع الكامل لله هو حقيقة العبادة، فمتى خلت العبادة من هذين الأمرين أو من أحدهما فليست عبادة؛ فإن حقيقتها الذل والانكسار لله، ولا يكون ذلك إلا مع محبته المحبة التامة التي تتبعها المحاب كلها)[4].

وعرفها بتعريف ثانٍ فقال: العبادة والعبودية لله اسم جامعٌ لكل ما يحبه الله ويرضاه من العقائد، وأعمال القلوب، وأعمال الجوارح؛ فكل ما يقرب إلى الله من الأفعال، والتروك فهو عبادة؛ ولهذا كان تارك المعصية لله متعبداً متقرباً إلى ربه بذلك)[5].

---

(١) العبودية، ص٣١.

(٢) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم (١/ ٩٥) .

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ص٣٢.

(٤) الحق الواضح المبين، ص٥٩_٦٠.

(٥) مقدمة تفسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، ص ٢٠١. ط، المعارف، الرياض ١٤٠٠هـ.

=

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: والعبادة تطلق على شيئين:

الأول: التعبد: بمعنى التذلل لله – عز وجل – بفعل أوامره واجتناب نواهيه؛ محبة وتعظيماً.

الثاني: المتعبد به؛ فمعناها كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة". مثال ذلك: الصلاة؛ ففعلها عبادة، وهو التعبد، ونفس الصلاة عبادة، وهو المتعبد به)[١].

أنواع العبادة: العبادة نوعان: عامة وخاصة:

العامة: هي الخضوع لأمر الله الكوني وهي عبودية جميع الخلق لله تعالى، وهي خضوعهم لقهره وقدرة ومشيئه لإن الخلق كلهم مؤمنهم وكافرهم معبدون لله مقهورون مربوبون لله تعالى لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضراً دون مشيئة الله تعالى.

ومن الأدلة على هذا الاستعمال قوله سبحانه **{إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا}** وقوله سبحانه: **{وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ}** .

الخاصة: هي الخضوع لأمر الله الشرعي وهي عبودية المؤمنين لربهم وطاعتهم له وانقيادهم لأمره ونهيه وقيامهم بتوحيده، والغاية في إطلاق لفظ العبادة في القرآن يراد به العبودية الخاصة ، كقوله تعالى: {وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا} [الفرقان: ٦٣]، وقوله: {تبارك الذي نزل الفرقان على عبده}، وهذه أخص من الأولى وقوله تعالى {عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ} الإنسان: ٦.[٢]

=

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد ١/١٤.

(٢) انظر: شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (٢/ ٢٢٠) فوائد من شرح كتاب التوحيد للسدحان (ص: ١٠)، مباحث العقيدة في سورة الزمر ناصر بن علي عايض حسن الشيخ (ص: ٧١٢).

وفي هذا يقول ابن القيم رحمه الله:

وعبادة الرحمن غاية حبه   مع ذل عابده هما قطبان

وعليهما فلك العبادة دائر   ما دار حتى دارت القطبان[١].

وهي بالنسبة لمراتبها ثلاث مراتب: مرتبة الإسلام، ومرتبة الإيمان، ومرتبة الإحسان، كما دل على ذلك حديث جبريل عليه السلام[٢]، قال الإمام محمد بن عبد الوهاب: "وأنواع العبادة التي أمر الله بها مثل: الإسلام، والإيمان، والإحسان"[٣].

توحيد العبادة هو: إخلاص الدين لله، وإفراد الله بالعبادة، وصرف جميع أنواع العبادة له سبحانه وتعالى، فلا يجوز أن يُشرك معه في عبادته، ملك مقرب ولا نبي مرسل، وما دونهما من باب أولى.

وهذا هو معنى شهادة ألا إله إلا الله، وتمام تحقيقها بشهادة أن محمداً رسول الله ﷺ.

ومما يوضح أن التعريف السابق هو تعريف لشهادة ألا إله إلا الله قول الله تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) الزخرف: ٢٦-٢٨ قال ابن جرير: (وقوله: وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ يقول تعالى ذكره: وجعل قوله إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي وهو قول لا إله إلا الله: كلمة باقية في عقبه، وهم ذريته، فلم يزل في ذريته من يقول ذلك من بعده.)[٤].

وكلام السلف كله يدور حول هذا المعنى فمنهم من فسر الكلمة بشهادة ألا إله إلا الله ومنهم من فسرها بالإسلام[٥].

---

(١) نونية ابن القيم ص٣٥..

(٢) البخاري: الإيمان (١٠) , ومسلم: الإيمان (٤٠).

(٣) ثلاثة الأصول وشروط الصلاة والقواعد الأربع (ص: ١٠)

(٤) تفسير الطبري ٥٨٩/٢١.

(٥) نفس المصدر والصفحة.

ولا خلاف بين القولين، إذ الإسلام هو الاستسلام لله بالعبودية، وهو الدين الذي لا يقبل الله من أحد شيئاً سواه، وهذا هو معنى لا إله إلا الله؛ المتركبة من النفي والإثبات؛ نفي عبادة ما سوى الله، وإثبات العبادة لله وحده، وهذان هما النفي والإثبات نفسهما الواردان في قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ٠إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ} سورة الزخرف، الآيتان: ٢٧/٢٦.

معنى شهادة أن لا إله إلا الله:

أما شهادة أن لا إله إلا الله فمعناها الحق الذي لا ينبغي العدول عنه هو: أن لا معبود حق إلا الله، ولا يجوز لنا أن نقول: إن معناها لا خالق إلا الله، أو لا قادر على الاختراع إلا الله، أو لا موجود إلا الله، كما هو قول طائفة من أهل الكلام(١)؛ وذلك لأمور منها:

١- أن كلمة إله عند العرب فِعالٌ بمعنى مفعول، كغِراس بمعنى مغروس، وفِراش بمعنى مفروش، كتاب بمعنى مكتوب؛ فإله: فِعال بمعنى مفعول: أي مألوه، والتأله في لغة العرب معناه التنسك والتعبد، فمعنى مألوه: معبود ومنه قول رؤبة بن العجاج(٢):

لله در الغانيات المده سبحن واسترجعن من تألهي (٣)

وقد سمَّت العرب الشمس لمّا عبدوها آلهة، وقالت مية بنت أم عتبة بن الحرث:

تروَّحنا من اللعباء عصراً فأعجلنا الإلهة أن تؤوبا (٤)

---

(١) انظر: تقريب التدمرية، للشيخ ابن عثيمين، ص١٢٢، ط. دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الدمام.

(٢) رؤبة بن العجاج بن رؤبة التميمي السعدي أبو الجحاف أو أبو محمد، راجز من الفصحاء المشهورين، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، كان أكثر مقامه في البصرة، وأخذ عنه أعيان أهل اللغة، وكانوا يحتجون بشعره= ويقولون بإمامته في اللغة، مات في البادية وقد أسن سنة ١٤٥هـ، لما مات رؤبة قال الخليل: دفنا الشعر واللغة والفصاحة، انظر ترجمته في: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان ٣٠٣/٢.

(٣) انظر: لسان العرب ١٣/ ٤٩٦.

(٤) المرجع نفسه ٤٦٩/١٣.

قال الراغب الأصفهاني[١] رحمه الله تعالى: (وأله فلان يأله الآلهة عبد، وقيل تأله فالإله على هذا هو المعبود ... وإله حقه أن لا يُجمع إذ لا معبود سواه لكن العرب لاعتقادهم أن ههنا معبودات جمعوه فقالوا الآلهة قال تعالى: {أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا} سورة الأنبياء، الآية ٤٣، وقال: {وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ} سورة الأعراف، من الآية ١٢٧، وقرئ {وإلاهتك}[٢] أي: عبادتك)[٣].

٢- أن كفار قريش والمشركين في الجاهلية لا ينكرون أنه لا خالق إلا الله، أو لا قادر على الاختراع إلا الله، قال تعالى في شأنهم: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ سورة لقمان الآية:٢٥ . وأشعارهم مليئة بالإقرار بهذا الأمر، أعني توحيد الربوبية، ومن ذلك قول زهير ابن أبي سلمى[٤]:

فلا تكتُمُن الله ما في نفوسكم ليخفي ومهما يكتم الله يعلم
يُؤخر فيُوضَعْ في كتاب فيُدَّخَر ليوم الحساب أو يعجل فينتقم [٥]

ومنه قول حاتم الطائي [٦]:

---

(١) هو الإمام أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني، الملقب بالراغب، صاحب التصانيف النافعة، والتي من أجلها؛ مفردات ألفاظ القرآن، توفي عام ٥٠٢ هـ على المشهور، قال الذهبي: لم أظفر له بوفاة، ولا ترجمة. انظر: سير أعلام النبلاء ١٨/ ١٢٠.

(٢) وبها قرأ علي بن أبي طالب، وابن عباس، والضحاك، وهي قراءة شاذة، انظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٦٢/٧. والقراءة الشاذة تحمل على المعنى كما هو مقرر في كتب أصول الفقه.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن الكريم للراغب الأصفهاني ص ٨٢ . ٨٣.

(٤) زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني، من مُضَر، حكيم الشعراء في الجاهلية وفي أئمة الأدب من يفضّله على شعراء العرب كافة، قال ابن الأعرابي: كان لزهير من الشعر ما لم يكن لغيره: كان أبوه شاعراً، وخاله شاعراً، وأخته سلمى شاعرة، وابناه كعب وبجير شاعرين، وأخته الخنساء شاعرة، ولد في بلاد مُزَينة بنواحي المدينة وكان يقيم في الحاجر (من ديار نجد)، واستمر بنوه فيه بعد الإسلام. قيل: كان ينظم القصيدة في شهر وينقحها ويهذبها في سنة فكانت قصائده تسمّى (الحوليات)، أشهر شعره معلقته التي مطلعها:
أمن أم أوفى دمنة لم تكلم ....ويقال: إن أبياته في آخرها تشبه كلام الأنبياء، ينظر ترجمته في: شرح المعلقات السبع للزوزني ص١٢٣.

(٥) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ص٢٥.

(٦) حاتم الطائي: حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي القحطاني، أبو عدي. شاعر جاهلي، فارس جواد يضرب المثل بجوده وكرمه. كان من أهل نجد، وزار الشام فتزوج من ماوية بنت حجر الغسانية، ومات في عوارض (جبل في بلاد طيء) عام ٤٦ قبل هجرة النبي ﷺ. ينظر ترجمته في البداية والنهاية لابن كثير ٢٧٠/٢.

أما والذي لا يعلم السر غيره ويحيي العظام البيض وهي رميم [(١)]

٣- أن كفار قريش لما قال لهم الرسول ﷺ قولوا: (لا إله إلا الله)، قالوا كما أخبر الله تعالى عنهم: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ سورة ص الآية: ٥ .

فما الذي فهمه كفار قريش عندما أمرهم النبي ﷺ أن يقولوا لا إله إلا الله ؟ هل فهموا من لا إله إلا الله أن معناها لا خالق أو لا قادر على الاختراع إلا الله؟.

الجواب لا؛ لأنهم لا ينكرون ذلك، إنما أنكروا أن تكون العبادة كلها لله وحده لا شريك له، إذاً فمعنى لا إله إلا الله: لا معبود بحق إلا الله، وتُقَدَّر كلمة حق لأن المعبودات كثيرة، ولكن المعبود الحق هو الله وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ سورة الحج الآية: ٦٢.

إذا علم هذا فمعنى هذه الشهادة إذن؛ الاعتقاد والإقرار بأنه لا يستحق العبادة إلا الله وحده لا شريك له، والتزام ذلك قولا وعملا؛ لأن المعبودات على قسمين: معبود بحق؛ ومعبود بباطل، المعبود بحق هو الله سبحانه وتعالى، والمعبود بباطل هو كل ما سوى الله تعالى قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ سورة الحج الآية: ٦٢.

---

(١) شرح ديوان حاتم الطائي ص٢٥.

المطلب الثاني: أركان العبادة وشروطها.

لا تكون العبادة مقبولة عند الله تعالى ونافعة لصاحبها إلا إذا حقق العبد أركانها وشروطها التي دل عليها الكتاب والسنة وهي:

أولا: أركانها:

للعبادة أركان ثلاثة ينبني عليها مدار مقامات السالكين، وهي: الخوف، والرجاء، والمحبة[١]، وكل منها فرض لازم، ولهذا كان السلف يذمون من تعبد بواحد منها دون الآخر[٢]. قال بعض السلف: «من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد»[٣]. قال الحافظ ابن رجب: "وسبب هذا أنه يجب على المؤمن أن يعبد الله بهذه الوجوه الثلاثة: المحبة والخوف والرجاء، ولا بد له من جميعها، ومن أخلّ ببعضها فقد أخلّ ببعض واجبات الإيمان"[٤].

وقد جمع الله تعالى هذه المقامات الثلاثة بقوله: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ} الإسراء ٥٧، «فابتغاء الوسيلة هو محبته الداعية إلى التقرب إليه ثم ذكر بعدها الرجاء والخوف فهذه طريقة عباده وأوليائه»[٥].

ووجه كون هذه الثلاثة أركان العبادة: هو أن «الخوف يبعدك عن معصية الله، والرجاء يخرجك إلى طاعته، والحب يسوقك إليه سوقًا»[٦].

(١) انظر: مدارج السالكين ١/ ٢٨٢.

(٢) انظر: التنبيهات السنية: ص:٧٥.

(٣) العبودية: ص: ١١٢، وانظر: البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، محمد بن علي بن آدم بن موسى الإتيوبي الولوي، ج١ص ٢٦٧، ط. دار ابن الجوزي.

(٤) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار: ص: ٢٥.

(٥) بدائع الفوائد: (٣/ ١١).

(٦) انظر: روضة المحبين ونزهة المشتاقين ص: ٤٣٦.

فلا بد من اجتماعها، فمن تعلق بواحد منها فقط؛ لم يكن عابدًا لله تمام العبادة؛[١]،فالعبادة الحقة هي التي يكون صاحبها بين الخوف والرجاء{وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ} الإسراء: ٥٧، {أمَّن هو قانت آنَاء الَّليل ساجداً وقائِماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه} الزمر: ٩. كما يكون بين الرغبة والرهبة كما قال تعالى في آل زكريا عليهم السلام: {إنَّهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين} الأنبياء: ٩٠.

(فالعبد الصالح تارة يمده الرجاء والرغبة، فيكاد يطير شوقاً إلى الله، وطوراً يقبضه الخوف والرهبة فيكاد أن يذوب من خشية الله تعالى، فهو دائب في طلب مرضاة ربه مقبل عليه خائف من عقوباته، ملتجئ منه إليه، عائذ به منه، راغب فيما لديه)[٢].

فعبادة الله بالحب فقط هي طريقة الصوفية، وعبادته بالرجاء وحده طريقة المرجئة، وعبادته بالخوف فقط طريقة الخوارج، والمحبة المنفردة عن الخضوع لا تكون عبادة، فمن أحب شيئا ولم يخضع له؛ لم يكن عابدًا؛ كما يحب الإنسان ولده وصديقه، كما أن الخضوع المنفرد عن المحبة لا يكون عبادة؛ كمن يخضع لسلطان أو ظالم اتقاء لشره، ولهذا لا يكفي أحدهما عن الآخر في عبادة الله – تعالى، بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد كل شيء، وأن يكون الله عنده أعظم من كل شيء[٣].

كذلك العبادة بالرجاء وحده ليست صحيحه وهي طريقة المرجئه الذين اعتمدوا على سعة رحمة الله ومغفرته ورجاء ما عنده فاكتفوا بنصوص الوعد واغفلوا نصوص الوعيد ولهذا فهم يتهاونون ... في فعل الأوامر واجتناب

---

(١) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد: للشيخ صالح الفوزان، ص: ٣١.
(٢) العقيدة في الله للأشقر (ص: ٢٦١).
(٣) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد (ص: ٣١)

النواهي لأن المعاصي عندهم لا تؤثر في الإيمان وهذا جهل بحقيقة هذا الدين واتباع الهوى[١] .

علاقة الرجاء بالخوف:

قد ذكر الله تعالى الخوف مقرونًا بالرجاء في مواضع كثيرة منها قوله تعالى في مدح عباده المؤمنين: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا} السجدة: ١٦، وقوله سبحانه: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} الأنبياء: ٩٠. وقد اختلف أهل العلم في علاقة الرجاء بالخوف، هل المشروع التسوية بينهما؟ أم ينبغي أن يغلب الرجاء على الخوف مطلقًا؟ أم يغلب الخوف على الرجاء مطلقًا؟ أم يغلب الخوف في حال الصحة، فيغلب الرجاء في حال المرض؟ أم يغلب الرجاء في حال المرض وفي حال الصحة يجعل رجاءه وخوفه واحدًا؟ أم يختلف بحسب ما يرى العبد من نفسه؟ فهذه ستة أقوال في هذه المسألة.

فالقول الأول: هو أنه ينبغي للمؤمن أن يكون خوفه ورجاؤه سواء. قال ابن رجب: " فأما الخوف والرجاء، فأكثر السلف على أنهما يستويان، لا يرجح أحدهما على الآخر.[٢].

وقال مطرف بن عبد الله: «لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لوجدا سواء لا يزيد أحدهما على صاحبه»[٣]. قالِ شيخُ الإسلامِ: (وهو كلامٌ صحيحٌ)[٤].

وقال الإمام أحمد: "ينبغي للمؤمن أن يكون خوفه ورجاؤه واحدًا، فأيهما غلب هلك صاحبه"[٥]. قال شيخ الإسلام معللًا كلام الإمام أحمد: "لأن من

(١) المرجع نفسه (ص: ٣٢).
(٢) ينظر: التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار (ص: ٢٥).
(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢/ ٢٠٨).
(٤) مجموع الفتاوى (١٨/ ٣٧٩).
(٥) الفتاوى الكبرى لابن تيمية: (٥/ ٣٥٩).

غلب خوفه وقع في نوع من اليأس، ومن غلب رجاؤه وقع في نوع من الأمن من مكر الله"[١].

وقال الإمام البخاري: باب الرجاء مع الخوف[٢]. قال ابن حجر في الفتح: أي استحباب، ذلك فلا يقطع النظر في الرجاء عن الخوف ولا في الخوف عن الرجاء لئلا يفضي في الأول إلى المكر وفي الثاني إلى القنوط وكل منهما مذموم[٣]. وقد نقل الحافظ ابن حجر الاتفاق على استحباب التسويه بينهما في حال الصحة[٤].

وقال العيني[٥]: «إن المكلف لو تحقق ما عند الله من الرحمة لما قطع رجاءه أصلًا، ولو تحقق ما عنده من العذاب لما ترك الخوف أصلًا، فينبغي أن يكون بين الخوف والرجاء»[٦].

وقال ابن أبي العز: «الرجاء يستلزم الخوف، ولولا ذلك لكان أمنًا، والخوف يستلزم الرجاء، ولولا ذلك لكان قنوطًا ويأسًا»[٧].

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي: (فالمؤمن الموحد في كل أحواله ملازم للخوف والرجاء، وهذا هو الواجب وهو النافع، وبه تحصل السعادة، ويخشى على العبد من خلقين رذيلين:

---

(١) المرجع السابق (٥/ ٣٥٩).

(٢) صحيح البخاري (٨/ ٩٩).

(٣) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٠١).

(٤) ينظر: المرجع السابق (٣٠١/١١)

(٥) هو أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو محمد، بدر الدين العينى الحنفي؛ مؤرخ، علامة، من كبار المحدثين، أصله من حلب ومولده في عينتاب (وإليها نسبته)، أقام مدة في حلب ومصر ودمشق والقدس، وولي في القاهرة الحسبة وقضاء الحنفية ونظر السجون، وتقرب من الملك المؤيد حتى عد من أخصائه. ولما ولي الأشرف سامره ولزمه، وكان يكرمه ويقدمه، ثم صرف عن وظائفه، وعكف على التدريس والتصنيف إلى أن توفي بالقاهرة، من أجل كتبه: (عمدة القاري في شرح البخاري) أحد عشر مجلدا. ينظر ترجمته في: الأعلام للزركلي.

(٦) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين العيني: (٢٣/ ٦٦).

(٧) شرح الطحاوية، لابن أبي العز: (٢/ ٤٥٧).

أحدهما: أن يستولي عليه الخوف حتى يقنط من رحمة الله ورَوحه.

الثاني: أن يتجارى به الرجاء حتى يأمن مكر الله وعقوبته، فمتى بلغت به الحال إلى هذا، فقد ضيّع واجب الخوف والرجاء اللذين هما من أكبر أصول التوحيد وواجبات الإيمان)[١].

وقال الشيخ ابن باز :(يجب على كل مسلم أن يسير إلى الله سبحانه في هذه الدنيا الدار الفانية بين الخوف والرجاء، فيذكر عظمته وشدة عقابه إذا خالف أمره فيخافه ويخشى عقابه، ويذكر رحمته وعفوه ومغفرته وجوده وكرمه فيحسن به الظن، ويرجو كرمه وعفوه)[٢].

القول الثاني: ومن السلف من رجح الخوف على الرجاء مطلقًا، قال ابن رجب: "ومنهم؛ (يعني من السلف) من رجح الخوف على الرجاء، وهو محكي عن الفضيل وأبي سليمان الداراني"[٣].

القول الثالث: وهو تغليب الرجاء على الخوف مطلقًا، واستدلوا بحديث: «أنا عند ظن عبدي بي..»[٤]. قال النووي: والأصح أن المراد به الرجاء[٥].

وقال البيضاوي[٦] في معنى الحديث: والمراد: هو الحث على تغليب الرجاء على الخوف، وحسن الظن بالله، كما قال عليه السلام: "لا يموتن

---

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد (ص: ١٢٢).

(٢) مجموع فتاوى ابن باز (٢٤/ ٢٣٣).

(٣) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار (ص: ٢٥).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى، برقم٢٦٧٥.

(٥) انظر: شرح النووي على مسلم (١٧/ ٢).

(٦) هو: هو أبو سعيد ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي (٦٨٥هـ)، قاض. أصولي. متكلم. مفسر. من تصانيفه: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، طواع الأنوار، منهاج الوصول إلى علم الأصول. انظر: طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو. ومحمود الطناحي. ط١، مطبعة عيسى الحلبي، مصر ٨ / ١٥٧، ١٥٨، وبغية الوعاة ٢ / ٥١،٥٠.

أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى"[١] [٢].

القول الرابع: هو تغليب الرجاء في حال المرض، وفي حال الصحة يجعل رجاءه وخوفه واحدًا، قال الإمام النووي رحمه الله: (اعلم أن المختار للعبد في حال صحته أن يكون خائفًا راجيًا، ويكون خوفه ورجاؤه سواء، وفي حال المرض يمحض الرجاء، وقواعد الشرع من نصوص الكتاب والسنة وغير ذلك متظاهرة على ذلك)[٣]. وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "وأما عند الإشراف على الموت فاستحب قوم الاقتصار على الرجاء لما يتضمن من الافتقار إلى الله تعالى ولأن المحذور من ترك الخوف قد تعذر فيتعين حسن الظن بالله برجاء عفوه ومغفرته)[٤].

القول الخامس: أن يكون الخوف في الصحة أكثر وفي المرض عكسه[٥]. قال السري بن المغلس السقطي: الخوف أفضل من الرجاء مادام الرجل صحيحًا، فإذا نزل به الموت فالرجاء أفضل من الخوف)[٦]. وقال ابن القيم: (القلب في سيره إلى الله عز وجل بمنزلة الطائر، فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران، ومتى قطع الرأس مات الطائر، ومتى فقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر، ولكن السلف استحبوا أن يقوى في الصحة جناح الخوف على جناح الرجاء، وعند الخروج من الدنيا يقوى جناح الرجاء على جناح الخوف...)[٧].

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت، برقم ٢٨٧٧.
(٢) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة (٢/ ١٤).
(٣) رياض الصالحين، للنووي: ص: ١٥٧.
(٤) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٠١).
(٥) ينظر: فتح الباري لابن حجر ١١/ ٣٠١.
(٦) شعب الإيمان للبيهقي (٢/ ٣٢٠).
(٧) مدارج السالكين (١/ ٥١٣)، وانظر: (٢/٣٧، ٤٣، ٥١).

القول السادس: قال شيخنا ابن عثيمين: «والذي عندي في هذه المسألة أن هذا يختلف باختلاف الأحوال، وأنه إذا خاف إذا غلّب جانب الخوف أن يقنط من رحمة الله وجب عليه أن يرد ويقابل ذلك بجانب الرجاء، وإذا خاف إذا غلّب جانب الرجاء أن يأمن مكر الله فليرد ويغلب جانب الخوف، والإنسان في الحقيقة طبيب نفسه إذا كان قلبه حيّا، أما صاحب القلب الميت الذي لا يعالج قلبه ولا ينظر أحوال قلبه فهذا لا يهمه الأمر»[1].

والذي يظهر والعلم عند الله أن الراجح هو القول بالتسوية بين الخوف والرجاء، وهو الذي عليه أكثر السلف، لدلالة الآيات كما تقدم، ولحديث الترمذي عن أنس، أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت، فقال: «كيف تجدك؟»، قال: والله يا رسول الله، إني أرجو الله، وإني أخاف ذنوبي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف»[2].

ثانيا شروط العبادة:

يشترط في العبادات حتى تقبل عند الله عز وجل ويؤجر عليها العبد أن يتوفر فيها شرطان:

الشرط الأول: الإخلاص لله عز وجل، قال تعالى: (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء) البينة:٥، ومعنى الإخلاص هو: أن يكون مراد العبد بجميع أقواله وأعماله الظاهرة والباطنة ابتغاء وجه الله تعالى، قال تعالى: (وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى) الليل/١٩. وقال تعالى: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلا النَّارُ وَحَبِطَ مَا

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١/ ١٠١).

(٢) أخرجه الترمذي في أبواب الجنائز برقم ٩٨٣، قال الألباني: حديث حسن.

صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) سورة هود/١٥-١٦، وقال تعالى: (فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) الكهف: ١١٠.

وعن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ)[١].

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: (أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ)([٢]).

الشرط الثاني: موافقة العمل للشرع الذي أمر الله تعالى أن لا يُعبد إلا به وهو متابعة النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من الشرائع فقد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)[٣].

قال ابن رجب رحمه الله: هذا الحديث أصل عظيم من أصول الإسلام وهو كالميزان للأعمال في ظاهرها، كما أن حديث: إنما الأعمال بالنيات " ميزان للأعمال في باطنها، فكما أن كل عمل لا يُراد به وجه الله تعالى، فليس لعامله فيه ثواب، فكذلك كل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله فهو مردود على عامله، وكل من أحدث في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله، فليس من الدين في شيء[٤]. وأمر النبي صلى الله عليه وسلم باتباع سنته وهديه

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ برقم١.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الرقاق، باب من أشرك في عمله غير الله، برقم ٥٣٠٠.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الأحكام، باب من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد برقم ٤٥١٤.

(٤) جامع العلوم والحكم ج ١ ص ١٧٦.

ولزومهما عن العرباض بن سارية، قال: وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال رجل: إن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟ قال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبد حبشي، فإنه من يعش منكم يرى اختلافا كثيرا، وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ)[1]، قال ابن القيم: فإن الله جعل الإخلاص والمتابعة سببا لقبول الأعمال فإذا فقد لم تقبل الأعمال[2].

(١) أخرجه الترمذي في سننه في أبواب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع برقم٢٦٧٦، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم ٢١٥٧.

(٢) الروح ١/١٣٥

المطلب الثالث: تضمن توحيد الألوهية لتوحيد الربوبية

والمتأمل في قول النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ : "حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا" يظن أن النبي اقتصر في دعوته على توحيد الألوهية فقط وأغفل ماعداه من توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات لكن الأمر ليس كذلك فإن توحيد الإلهية الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له، قد فطر عليه الخلق قال تعالى: {فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون} سورة الروم: ٣٠، وقال صلى الله عليه وسلم: "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه" حيث قال: "يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه", ولم يقل: ويسلمانه فتوحيد الألوهية مستقر في الفطر وهو متضمن لتوحيد الربوبية ولذا فإن المشركين من العرب كانوا يقرون بتوحيد الربوبية، وأن خالق السماوات والأرض واحد، كما أخبر تعالى عنهم بقوله: {ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله} سورة لقمان: ٢٥.{قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون، سيقولون لله قل أفلا تذكرون} سورة المؤمنون: ٨٤، ٨٥، وكانوا يقرون بتوحيد الأسماء والصفات جملة فهو فرع عن توحيد الربوبية ولم يكونوا يعتقدون في الأصنام أنها مشاركة لله في خلق العالم، بل كان حالهم فيها أنهم يعتقدون أن هذه تماثيل قوم صالحين، يتخذونهم شفعاء، ويتوسلون بهم إلى الله، وهذا كان أصل شرك العرب، في توحيد الألوهية قال تعالى حكاية عن قوم نوح {وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا} سورة نوح: ٢٣، وقد ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن هذه أسماء قوم صالحين في قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد، فعبدوهم[1].

---

(١) شرح الطحاوية: (ص: ٨١)، وقد أخرج الإمام البخاري ما أشار إليه المؤلف هنا عن ابن عباس، في =

فعلاقـة أحـد النـوعين بـالآخر هـو أن توحيـد الربوبيـة مسـتلزم لتوحيـد الألوهيـة ، بمعنـى أن الإقرار بتوحيد الربوبية يوجب الإقرار بتوحيد الألوهيـة والقيام بـه، فمن عرف أن الله ربـه وخالقـه ومدبر أموره وجب عليـه أن يعبده وحده لا شريك لـه، وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية بمعنى أن توحيد الربوبية يدخل ضمن توحيد الألوهية، فمن عبد لله وحده ولم يشرك به شيئاً فلا بد أن يكون قد اعتقد أنه هو ربه وخالقه كما قال إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام : {قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ •أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ •فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ •الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ •وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ •وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ •وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ •وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ } الشعراء من الآية ٧٥ حتى آية ٨٢ .

=

حديث ساقه بإسناده برقم (٤٩٢٠)، وفي الفتح لابن حجر: (٦٦٧/٨)، والسيرة النبوية لابن هشام (٩٦/١-٩٨)، وجامع البيان، للطبري: (٦٣٩/٢٣، ٦٤٠).

المبحث الثاني

حق العباد، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الحق على الله تعالى:

لقد بين النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنه حق العباد بقوله: "**وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً**". ومعنى ذلك أن من قام من العباد بحق الله تعالى عليهم فالله – سبحانه وتعالى – أوجب على نفسه ألا يعذبهم، ووعده متحقق لا محالة؛ لأنه قد وعدهم ذلك جزاء لهم على توحيده، والله لا يخلف الميعاد.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: كون المطيع يستحق الجزاء هو استحقاق إنعام وفضل، ليس هو استحقاق مقابلة كما يستحق المخلوق على المخلوق)[١].

ولماذا سمي هذا حقا على الله تعالى مع إيماننا بأنه لا ملزم له سبحانه ولا موجب عليه فهو لا شك ليس لزوم وإيجاب، ولذا اختلف في معنى ذلك على أقوال أظهرها قولان:

قيل: سمي حقا من باب المقابلة، لما قيل للأول حق قيل لهذا حق أيضا وهذا من فضل الله تعالى ولطفه على عباده جل وعلا.

وقيل: إن معنى الحق هنا أي المتحقق الثابت والخير والثواب الواقع الذي لا تردد معه.

ويبّين شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – موقف السلف في مسألة الوجوب على الله، حيث قال: (وأما الإيجاب عليه سبحانه وتعالى والتحريم، بالقياس على خلقه، فهذا قول القدرية – أي المعتزلة – وهو قول مبتدع مخالف لصحيح المنقول وصريح المعقول. وأهل السنة متفقون على أنه سبحانه خالق كل شيء وربه ومليكه، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأن العباد

(١) ينظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد" ص ٤٨ – ٤٩.

لا يوجبون عليه شيئا؛ ولهذا كان من قال من أهل السنة بالوجوب قال: إنه كتب على نفسه الرحمة، وحرم الظلم على نفسه، لا أن العبد نفسه مستحق على الله شيئا كما يكون للمخلوق على المخلوق، فإن الله هو المنعم على العباد بكل خير فهو الخالق لهم وهو المرسل إليهم الرسل، وهو الميسر لهم الإيمان والعمل الصالح)[1].

أما المعتزلة فقد ذهبوا إلى القول بوجوب بعض الأفعال على الله، وعدوا ذلك من مقتضيات العدل، يقول القاضي عبدالجبار في ذلك: وأما علوم العدل؛ فهو أن يعلم أن أفعال الله تعالى كلها حسنة، وأنه لا يفعل القبيح، ولا يخل بما هو واجب عليه، وأنه لا يكذب في خبره، ولا يجور في حكمه)[2]. فهم يرون وجوب ما حكم العقل بحسنه على الله تعالى، بمعنى أن تركه نقص يتنزه الله عنه.

وذهب الأشاعرة إلى أن الله تعالى لا يجب عليه شيء؛ لأنه المالك على الإطلاق، وله التصرف في ملكه كيف يشاء. وإليك ما قاله الجلال الدواني في إبطال معاني الوجوب الثلاثة في حقه تعالى حيث قال: والأول باطل؛ لأنه تعالى المالك على الإطلاق، وله التصرف في ملكه كيف يشاء، فلا يتوجه إليه الذم أصلا على ترك فعل من الأفعال، بل هو المحمود في كل أفعاله.

وكذا الثاني؛ لأنا نعلم إجمالا: أن جميع أفعاله تتضمن الحكم والمصالح، ولا يحيط علمنا بحكمته ومصلحته، على أن التزام رعاية الحكمة والمصلحة مما لا يجب عليه تعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

وكذا الثالث؛ لأنه إن قيل بامتناع صدور خلافة عنه تعالى، فهو ينافي ما صرح به في تعريفه من جواز الترك، وإن لم يقل به فات معنى الوجوب،

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ص٤٠٩، ٤١٠، وانظر: الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى لمحمد ربيع المدخلي – ص ١٠٦.

(٢) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار ص١٣٢.

وحينئذ يكون محصله أن الله تعالى لا يتركه على طريق جري العادة، وذلك ليس من الوجوب في شيء بل يكون إطلاق الوجوب عليه مجرد اصطلاح)[١].

لقد سلك كل من المعتزلة والأشاعرة في مسألة الوجوب على الله طريقين كلاهما خطأ، ولم يوفقوا لطريق الحق الذي هو الطريق الوسط، والذي دل عليه الكتاب والسنة، وتوضيح ذلك بما يلي:

١- أن المعتزلة أفرطوا في تمجيد العقل، حتى أوجبوا بمقتضاه على الله تعالى أمورا وحرموا عليه أمورا أخرى، ووضعوا لله شريعة التعديل والتجوير، فهم بذلك شبهوا الخالق بالمخلوق.

٢- أما الأشاعرة فقد أخطأوا في إطلاقهم القول بنفي الوجوب في حقه تعالى؛ فلم ينزهوه عن فعل شيء، بناءً منهم على نفي التحسين والتقبيح العقليين. وقالوا: إن الوجوب لا يتصور في حقه؛ لأنه المالك المتصرف ولا يسأل عما يفعل، ونسوا أنه لا يسأل عما يفعل لكمال حكمته.

٣- وأما أهل الحق، وهم الوسط فقد منعوا أن يوجب العقل على الله تعالى شيئا، ولكن لم يمنعوا أن يوجب الله على نفسه بعض الأمور التي يقتضيها كماله، والتي أخبر أنه أوجبها على نفسه، كما قال تعالى: (وَإِذَا جَاءكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) [الأنعام: ٥٤].

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: إن الله لما قضى الخلق كتب على نفسه كتابا فهو موضوع عنده فوق العرش أن رحمتي تغلب غضبي)[٢].

ولا يلزم من كونه تعالى أوجب على نفسه بعض الأمور أن يكون فاعلا بالإيجاب، أي لا اختيار له؛ لأنه سبحانه أوجبه على نفسه باختياره، فإذا شاء

(١) شرح العقائد العضدية، للجلال الدواني٢/١٨٦-١٨٩.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء برقم ٧٤٢٢)، ومسلم في كتاب التوبة باب في سعة رحمة الله برقم (٢٧٥١).

الحسن واختاره لم يكن ذلك نافيا للاختيار، فاختياره وإرادته اقتضت التعلق بما كان حسنا، على وجه اللزوم، فكيف لا يكون مختارا!

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: (وقد أخبر سبحانه عن نفسه أنه كتب على نفسه وأحق على نفسه، قال تعالى: {وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنينَ} سورة: الروم، آية ٤٧، وقال تعالى: {وَإِذَا جَاءكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِئَايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ} سورة الأنعام، آية ٥٤، وقال تعالى: {إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوٰلَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ ٱلّجَنَّةَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقّا فِي ٱلتَّوْرَاةِ وَٱلإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءانِ} التوبة:١١١، وفي الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ: (أتدري ما حق الله على عباده؟) وفيه: (أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟)، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في غير حديث: من فعل كذا كان على الله أن يفعل به كذا، وكذا في الوعد والوعيد[1]، ونظير هذا ما أخبر سبحانه من قسمه ليفعلن ما أقسم عليه كقوله: {فَوَرَبّكَ لَنَسْـئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} الحجر:٩٢، {فَوَرَبّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَـٰطِينَ} سورة: مريم:٦٨، وقوله: {لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ} إبراهيم:١٣، وقوله: {لأمْلاَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ} سورة ص:٨٥، إلى أمثال ذلك من صيغ القسم المتضمن معنى إيجاب المقسِم على نفسه أو منعه نفسَه، وهو القسم الطلبي المتضمن للحظر والمنع، بخلاف القسم الخبري المتضمن للتصديق والتكذيب، قالوا: وإذا كان معقولاً من العبد أن يكون طالباً من نفسه فتكون نفسه طالبة منها لقوله تعالى: {إِنَّ ٱلنَّفْسَ لأمَّارَةٌ بِٱلسُّوء}

(١) مثل حديث أبي ذرٍّ الغِفاريِّ رضي الله عنه، قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم عليه ثوب أبيض، ثم أتيته فإذا هو نائم، ثم أتيته وقد استيقظ، فجلستُ إليه، فقال: (ما من عبدٍ قال :لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة)، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: (وإن زنى وإن سرق)، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: (وإن زنى وإن سرق) ثلاثًا، ثم قال في الرابعة: (على رَغم أنفِ أبي ذر)، قال: فخرج أبو ذر وهو يقول: وإن رغم أنفُ أبي ذر؛ (مسلم حديث: ٩٤)"، وحديث: "كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: يا رسول الله! ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى" رواه البخاري (٧٢٨٠).

يوسف:٥٣، وقوله: {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ} النازعات:٤٠، مع كون العبد له آمر وناهٍ فوقه، فالرب تعالى الذي ليس فوقه آمر ولا ناهٍ كيف يمتنع منه أن يكون طالباً من نفسه فيكتب على نفسه، ويحق على نفسه، ويحرم على نفسه؟! بل ذلك أولى وأحرى في حقه من تصوره في حق العبد، وقد أخبر به عن نفسه وأخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم، قالوا: وكتابة ما كتبه على نفسه وإحقاق ما حقه عليها متضمن لإرادته ذلك، ومحبته له ورضاه به، وأنه لا بد أن يفعله، وتحريمه ما حرمه على نفسه متضمن لبغضه لذلك، وكراهته له وأنه لا يفعله، ولا ريب أن محبته لما يريد أن يفعله، وبغضه له يمنع وقوعه منه مع قدرته عليه لو شاء، وهذا غير ما يحبه من فعل عبده ويكرهه منه، فذاك نوع وهذا نوع، ولما لم يميّز كثير من الناس بين النوعين وأدخلوهما تحت حكم واحد اضطربت عليهم مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، وبهذا التفصيل سفر لك وجه المسألة وتبلج[١] صبحها)[٢].

---

(١) تبلج صبحها: أرشق وأضاء.

(٢) مفتاح دار السعادة (ص ٤٣٠-٤٣١) ببعض اختصار.

المطلب الثاني: معنى نفي العذاب عن الموحدين:

هذا هو الشق الثاني من الحقوق وهو حق العباد على الله حيث قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ فقال: يا معاذ، قلت: لبيك وسعديك، قال: هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك: أن لا يعذبهم وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا، وفي لفظ: فإن حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك أن يدخلهم الجنة).

ففي الرواية الأولى؛ حق من حقوق العباد على الله سبحانه وتعالى أوجبه على نفسه؛ ألا يعذب من لا يشرك به شيئا، وفي الرواية الثانية أن يدخل من لا يشرك به شيئا الجنة وكلا الروايتين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه.

قد يفهم من قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (من لا يشرك به شيئا) أنه عدم إشراك مجرد عن العبادة، والصحيح أن التقدير: من يعبده ولا يشرك به شيئا، لأن عدم الشرك مع عدم العبادة لا ينفع، وهذا معلوم من نصوص الشرع وكونه لم يذكر قوله: "من يعبده"، لأنه مفهوم من قوله: (وحق العباد)، ومن كان وصفه العبودية، فلا بد أن يكون عابدا لأن من لا يعبد الله ولم يشرك به شيئا يعذب؟ ولأن هذا في مقابل قوله فيما تقدم: أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئا"; فعلم أن المراد بقوله: لا يشركوا به شيئا؛ أي: في العبادة[١].

قال ابن حجر: اقتصر على نفي الإشراك لأنه يستدعي التوحيد بالاقتضاء ويستدعي إثبات الرسالة باللزوم إذ من كذب رسول الله فقد كذب الله ومن كذب الله فهو مشرك أو هو مثل قول القائل من توضأ صحت صلاته أي مع سائر الشرائط فالمراد من مات حال كونه مؤمنا بجميع ما يجب الإيمان به)[٢] .

---

(١) انظر المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٤٦).

(٢) فتح الباري لابن حجر (١/ ٢٢٨).

والنفي في قول الرسول صلى الله عليه وسلم (ألا يعذب من لا يشرك به شيئا) يشمل نفي العذاب مطلقا، ويشمل نفي العذاب الدائم، فإذا كان المقصود بالعذاب الذي ينال المشركين هو العذاب الدائم؛ فالمراد بالإشراك الشرك الأكبر دون الشرك الأصغر والكبائر، على أن الشرك الأصغر لا يغفره الله كالشرك الأكبر كما قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ... الخ) إلا أن الله لا يخلد صاحبه في النار كالشرك الأكبر، وإن كان المقصود نفي العذاب مطلقا؛ فالمراد بالشرك هنا جميع أنواع الشرك كبيره وصغيره.

وقوله في الرواية الأخرى (أن يدخلهم الجنة) إما ابتداءً أو مآلا على التفصيل السابق.

وقد وردت أحاديث أخرى في معنى هذا الحديث وهي أنواع[١]:

النوع الأول: ما ورد فيه أن من أتى بالشهادتين دخل الجنة ولم يحجب عنها:

في الصحيحين عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة قلت وإن زنى وإن سرق قال وإن زنى وإن سرق قلت وإن زنى وإن سرق قال وإن زنى وإن سرق ثلاثا ثم قال في الرابعة على رغم أنف أبي ذر قال فخرج أبو ذر وهو يقول وإن رغم أنف أبي ذر)[٢] .

وفي صحيح مسلم عن عبادة بن الصامت أنه قال عند موته سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها

(١) انظر: كلمة الإخلاص وتحقيق معناها، لابن رجب الحنبلي، ص٢٤.

(٢) أخرجه في البخاري في الجنائز باب ما جاء في الجنائز برقم ١٢٣٧، ومسلم في كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة.

إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل)[١].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة أو أبي سعيد بالشك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما فيحجب عن الجنة)[٢]

النوع الثاني: ما ورد من الأدلة أن من أتى بالشهادتين حُرّم عن النار:

في صحيح مسلم عن عتبان بن مالك رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله)[٣] وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم ومعاذ رديفه على الرحل فقال يا معاذ قال لبيك يا رسول الله وسعديك قال يا معاذ قال لبيك يا رسول الله وسعديك قال ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله إلا حرمه الله النار قال يا رسول الله ألا أخبر بها الناس فيستبشروا قال إذا يتكلوا فأخبر بها معاذ عند موته تأثما وفي صحيح مسلم عن عبادة بن الصامت أنه قال عند موته سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله حرمة الله على النار)[٤].

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب من مات على التوحيد دخل الجنة برقم ٤٦.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب من مات على التوحيد دخل الجنة برقم٤٤.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في أبواب المساجد، باب المساجد في البيوت برقم ٤١٥، مسلم في الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة. وفي المساجد ومواضع الصلاة باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر رقم ٣٣.

(٤) تقدم تخريجه وهو حديث البحث.

النوع الثالث: ماورد من الأدلة أن من أتى بالشهادتين أخرج من النار:

ففي الصحيحين أن الله تعالى يقول وعزتي وجلالي لأخرجن من النار من قال لا إله إلا الله)[١].

هذه الأحاديث مما استدل بها المرجئة على أن مرتكب الكبيرة لا يدخل النار مطلقا، وأنه كامل الإيمان، وأن المعاصي لاتضر مع الإيمان لا بنقص ولا بنفي، ولا يدخل النار أحد بذنب دون الكفر بالكلية، ولا تفاضل عندهم بين إيمان الفاسق الموحد وبين إيمان أبي بكر وعمر، حتى ولا تفاضل بينهم وبين الملائكة ولا فرق عندهم بين المؤمنين والمنافقين؛ إذ الكل مستو في النطق بالشهادتين نسأل الله تعالى العافية والسلامة.

وقد خرّج العلماء هذه الأحاديث بعدة تخريجات:

أحدهما: ما فيه أن من أتى بالشهادتين دخل الجنة ولم يحجب عنها وهذا ظاهر فإن النار لا يخلد فيها أحد من أهل التوحيد الخالص وقد يدخل الجنة ولا يحجب عنها إذا طُهِّر من ذنوبه بالنار وقد لا يدخل النار ابدا.

الثاني: قالت طائفة من العلماء المراد من هذه الأحاديث أن لا إله إلا الله سبب لدخول الجنة والنجاة من النار، ومقتض لذلك، ولكن المقتضي لا يعمل عمله إلا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه، فقد يتخلف عنه مقتضاه لفوات شرط من شروطه أو لوجود مانع وهذا قول الحسن ووهب ابن منبه، وهو الأظهر قيل للحسن: إن أناسا يقولون من قال لا إله إلا الله دخل الجنة فقال من قال لا إله إلا الله فأدى حقها وفرضها دخل الجنة[٢]، وقال وهب بن منبه لمن سأله أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة قال بلى ولكن ما من مفتاح إلا له أسنان فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح لك[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم برقم ٧٠٧٢، مسلم في الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها رقم ١٩٣.

(٢) أخرجه أبو القاسم الأصبهاني في «الحُجَّة في بيان المحجَّة» (٢/ ١٥٨).

(٣) رواه البخاري معلقاً حديث (١٢٣٧) كتاب: الجنائز، باب: في الجنائز، ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله. ورواه موصولاً في "التاريخ الكبير" (٢٦١)، وأبو نعيم في "الحلية"(٤/ ٦٦)، والبيهقي في "الأسماء والصفات" (١/ ٢٧٤). وله شاهد مرفوع من حديث معاذ بن جبل رواه أحمد بن حنبل، والبزار، والطبراني في كتاب "الدعاء" بسند ضعيف. قال ابن حجر في "المطالب العالية" (٣/ ٢٥٤): إسناده حسن موقوف.

الثالث: ذهب طائفة منهم الزهري والثوري وغيرهما إلى أن هذه الأحاديث المذكورة وما في معناها كانت قبل نزول الفرائض والحدود، وهذا بعيد جدًا لأن كثيرًا منها كان بالمدينة بعد نزول الفرائض والحدود، وفي بعضها أنه كان في غزوة تبوك وهي في آخر حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وهؤلاء منهم من يقول في هذه الأحاديث إنها منسوخة ومنهم من يقول هي محكمة ولكن ضم إليها شرائط.

والخلاف أن الزيادة على النص هل هي نسخ أم لا؟ فقد صرح الثوري وغيره بأنها منسوخة، وأنه نسخها الفرائض والحدود، وقد يكون مرادهم بالنسخ البيان والإيضاح فمقصودهم أن آيات الفرائض والحدود تبين بها توقف دخول الجنة والنجاة من النار على فعل الفرائض واجتناب المحارم، فصارت تلك النصوص منسوخة أي مبينة مفسرة ونصوص الحدود والفرائض ناسخة، أي مفسرة لمعنى تلك موضحة لها)[١].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: في هذا الحديث ونحوه أنها فيمن قالها ومات عليها، كما جاءت مقيدة بقوله: خالصا من قلبه غير شاك فيها بصدق ويقين، فإن حقيقة التوحيد انجذاب الروح إلى الله تعالى جملة، فمن شهد أن لا إله إلا الله خالصا من قلبه دخل الجنة؛ لأن الإخلاص هو انجذاب القلب إلى الله تعالى بأن يتوب من الذنوب توبة نصوحا، فإذا مات على تلك الحال نال ذلك، فإنه قد تواترت الأحاديث بأنه: " يخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، وما يزن خردلة، وما يزن ذرة)[٢].

هذا ما تيسر جمعه في هذا البحث والحمد لله أولا وآخرا.

(١) كلمة الإخلاص وتحقيق معناها، لابن رجب (ص: ٢٠).

(٢) تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ١/٣٥٨.

الخاتمة:

الحمدلله الذي أعانني على إتمام هذا البحث وقد توصلت فيه إلى عدة نتائج منها:

- حديث معاذ بن جبل في بيان الحقوق من الأحاديث المتفق على صحتها وهو من أعظم الأحاديث في بيان حق الله تعالى على عباده.
- يتجلى في هذا الحديث منهج النبي عليه الصلاة والسلام في تقرير مسائل العقيدة؛ حيث سلك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أساليب ومواقف تربوية؛ لتعميق العقيدة في نفوس الصحابة رضوان الله عليهم، وكان منهجا مبتكرا؛ مبتدأ بالإرادة الفردية، ومعرفة الأسباب مع توفر الوسائل؛ من الحوار والتجديد في إلقاء الأسئلة، وإثارة انتباه المتعلم من أصحابه.
- في الحديث حسن أدب صحابة النبي صلى الله عليه وسلم معه حيث إنهم لا يسبقونه بالقول ويصغون إلى تعاليمه باهتمام شديد.
- أعظم حق لله تعالى على عباده: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا.
- العبادة والعبودية لله اسم جامعٌ لكل ما يحبه الله ويرضاه من العقائد، وأعمال القلوب، وأعمال الجوارح؛ فكل ما يقرب إلى الله من الأفعال، والتروك فهو عبادة؛ ولهذا كان تارك المعصية لله متعبداً متقرباً إلى ربه بذلك
- توحيد العبادة هو: إخلاص الدين لله، وإفراد الله بالعبادة، وصرف جميع أنواع العبادة له سبحانه وتعالى، فلا يجوز أن يُشرك معه في عبادته، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، وما دونهما من باب أولى.
- للعبادة شرطان هما: الإخلاص والمتابعة، ولها أركان هي: الخوف والرجاء والحب.
- حق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئاً، وهذا الحق أوجبه الله على نفسه تفضلا على عباده، فهو سبحانه كتب على نفسه الرحمة، وحرّم الظلم على نفسه، لا أن العبد نفسه مستحق على الله شيئا كما يكون

للمخلوق على المخلوق، فإن الله هو المنعم على العباد بكل خير، فهو الخالق لهم وهو المرسل إليهم الرسل، وهو الميسر لهم الإيمان والعمل الصالح.

- من مات وهو لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، إما ابتداء أو انتهاء لكنه لا يخلد في النار.

قائمة المصادر والمراجع

١- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، المؤلف: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الرابعة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٢- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، المؤلف: أبو محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام الأنصاري، الناشر: دار الجيل – بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٧٩.

٣- بدائع الفوائد، المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الناشر : مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة، الطبعة الأولى ، ١٤١٦ - ١٩٩٦.

٤- التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، المحقق: بشير محمد عيون. دار النشر: مكتبة المؤيد – الطائف، دار البيان – دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤٠٩ - ١٩٨٨.

٥- تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء، لشيخ الإسلام ابن تيمية، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م.

٦- تيسير العزيز الحميد، لمؤلف: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، الناشر: مكتبة الرياض الحديثة – الرياض.

٧- ثلاثة الأصول وشروط الصلاة والقواعد الأربع، للشيخ محمد بن عبدالوهاب.

٨- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.

٩- الجامع الكبير - سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت
١٠- الجامع لأحكام القرآن المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
١١- الحق الواضح المبين في شرح توحيد الانبياء والمرسلين، تأليف الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، نشر: درا ابن القيم: ١٤٠٧هـ.
١٢- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
١٣- الروح، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تعليق: إبراهيم رمضان، الناشر: دار الفكر العربي - بيروت، تاريخ الطبع: ١٩٩٦م.
١٤- روضة المحبين ونزهة المشتاقين، تأليف: الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عزير شمس، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.
١٥- رياض الصالحين، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، المحقق: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
١٦- سير أعلام النبلاء ١٨/ ١٢٠ للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، طبع ونشر: مؤسسة الرسالة . بيروت: ٨/ ١٤١٢ هـ ١٩٩٢. م.

١٧- شرح الطحاوية، المؤلف: صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عبد الله بن المحسن التركي

١٨- شرح العقيدة الواسطية، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين، خرج أحاديثه واعتنى به: سعد بن فواز الصميل، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: السادسة، ١٤٢١هـ.

١٩- صحيح البخاري: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٠- صحيح مسلم: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، لمحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٢١- العبودية، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، المحقق: محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الطبعة السابعة المجددة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٢٢- العقيدة في الله، تأليف عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن الطبعة: الثانية عشر، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م.

٢٣- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت

٢٤- الفتاوى الكبرى، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني

الحنبلي الدمشقي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

٢٥-فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩م.

٢٦-فوائد من شرح كتاب التوحيد، المؤلف: عبد العزيز بن محمد بن عبد الله السدحان الناشر: دار المسلم للنشر والتوزيع.

٢٧-القول السديد شرح كتاب التوحيد، المؤلف: أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، المحقق: المرتضى الزين أحمد، الناشر: مجموعة التحف النفائس الدولية، الطبعة: الثالثة.

٢٨-القول المفيد على كتاب التوحيد، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية: محرم ١٤٢٤هـ.

٢٩-الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (نونية ابن القيم)، تأليف: محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية المتوفى، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن العريفي ،ناصر بن يحيى الجنيني ، عبد الله بن عبد الرحمن الهذيل ، فهد بن علي المساعد، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع - مكة، الطبعة: الأولى ١٤٢٨هـ.

٣٠-كتاب التوحيد وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين، المؤلف: عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، المحقق: بشير محمد عيون، الناشر: مكتبة المؤيد، الطائف، المملكة العربية السعودية/ مكتبة دار البيان، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

٣١-كلمة الإخلاص وتحقيق معناها، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، المحقق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٣٩٧هـ.

٣٢-لسان العرب، لمؤلف: ابن منظور، المحقق: عبد الله علي الكبير + محمد أحمد حسب الله + هاشم محمد الشاذلي، دار النشر: دار المعارف، القاهرة.

٣٣-مباحث العقيدة في سورة الزمر ناصر بن علي عايض حسن الشيخ الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

٣٤-مجموع فتاوى شيخ الإسلام، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٣٥-مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر

٣٦-مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد صالح العثيمين جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، الناشر: دار الوطن – دار الثريا، الطبعة: ١٤١٣هـ.

٣٧-مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

٣٨-مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المؤلف: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

٣٩-مسند الإمام أحمد المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي

٤٠-معجم الطبراني الكبير لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية: د/ سعد بن عبد الله الحميد و د/ خالد بن عبد الرحمن الجريسي، الطبعة: الأولى: ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

٤١-معجم المناهي اللفظية وفوائد في الألفاظ، المؤلف: بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد، الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة: الثالثة، ١٤١٧ هـ -١٩٩٦م.

٤٢-معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٤٣-مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، تأليف: الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: عبد الرحمن حسن قائد، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، تمويل: مؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.

٤٤-مفردات ألفاظ القرآن الكريم للراغب الأصفهاني، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، المحقق: محمد سيد كيلاني، الناشر: دار المعرفة

٤٥-المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢.

٤٦-صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الجيل – بيروت، الطبعة: مصورة من الطبعة التركية المطبوعة في استانبول سنة ١٣٣٤ هـ.

٤٧-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر . بيروت